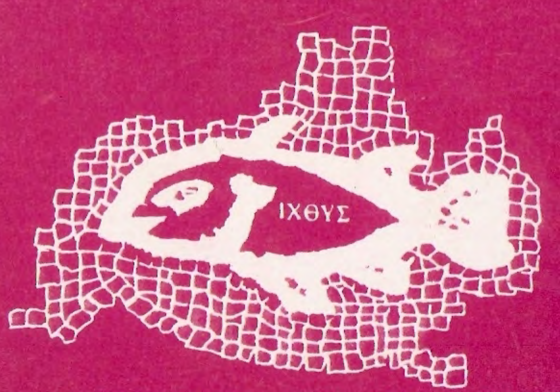
اليوبيل الماسى للكلية الاكليريكية

سلسلة
آباء الكنيسة

القديس ديديموس

الضرير



ΙΗΣΟΥΣ ΧΡΙΣΤΟΣ ΘΗΟΥ ΥΙΟΣ ΣΩΤΗΡ

لاهوتى الروح القدس

✝

علم الباترولوچى
سلسلة آباء الكنيسة

القديس ديديموس
الضرير

DIDYMUS THE BLIND

ترجمة وإعداد

أنطون فهمى چورچ



البابا شنودة الثالث

مقدمة

خلال هذه السلسلة نستشف واقعية الكنيسة الاولى ، بالرجوع الى الفكر الآبائى الأصيل ، فنحيا بروح الآباء ونتمتع بفكرهم وسيرتهم ونتلمس حياتهم ومنهجهم الذى عاشوه .

وإننى أجد نفسى لست أهلا لأنحنى مطوباً ابائى القديسين الأولين فى الكنيسة الأولى ، فإن سيرتهم حلوة وحياتهم عذبة تستريح لها النفس وتشتم من خلالها رائحة المسيح الذكية .

والقصد من هذه السلسلة تقديم الفكر الابائى الأصيل ، لعلنا بهذا نقدم عملاً علمياً يفيد المهتمين بالتراث والأدب الابائى الثمين ، الاب : سيرته ، منهجه اللاهوتى ، والكتابى ، والكنسى ، والرعوى ، والنسكى ، والسلوكى وفكره الروحى إذ أن علم آباء الكنيسة ، ليس مجرد تاريخ الكتابات المسيحية ، بل هو علم اللاهوت الابائى .

إنها دعوة لأن نسبح فى بحار الإيمان ثم نغوص لنعانق الجذور ، جذور الايمان والمعرفة والحياه الحية ، فليس المناط أن نقدم معلومات وأقوال ، ولكن المناط هو أن نقدم الثالوث القدوس

الحى ، الذى أحبوه واتحدوا به ، فهم ليسوا النور ، بل هم يتكلمون عن النور ويعاونوننا على أن نفهم .

إننا فى حاجة الى الغوص فى الفكر الابائى المتكامل ... من خلال حياة لصيقة بأنفاس هؤلاء الاباء والمعلمين ، وبين يدينا سيرة القديس ديديموس الضرير ناظر مدرسة الاسكندرية اللاهوتية فى عهد البابا أثناسيوس الرسولى ومن أعظم اللاهوتيين فى أيامه .

فإذا كانت الاسكندرية مركزاً للحياة الفكرية المتألقة والتعليم المسيحى والعلوم القدسية ، فمن لا يعرف العلامة اللاهوتى ديديموس لم يعرف المدينة العظمى الاسكندرية بعد ، واذا كانت الاسكندرية بيتاً للعلم فإن القديس ديديموس سكب عليها من تعاليمه لتثقيف الشعب ليلاً ونهاراً ، رئيساً لمدرسة الاسكندرية حصن الايمان القويم .

كان ضريراً مبصراً متحداً بالنور الحقيقى والعقل الكامل ، عصامياً ممارساً للنسك بغيرة صديقاً للأنبا أنطونيوس ، فكانت حياته فردوساً ، وتتلمذ على يديه القديس چيروم الذى أتى

للاسكندرية لذلك ، والمؤرخ الشهير روفينوس وبلاديوس والقديس أغريغوريوس النزينزى ...

وقد إعتمدنا بالاكثر فى هذا البحث على ما ورد فى كتاب "الباترولوچى *Patrology* " لمؤلفه چونز كواستن *Johannes Quasten* المجلد الثالث .

نقدم هذه السيرة الحلوة لتكون سبب بركة لحياتنا جميعاً ، مع سجودنا القلبى للثالوث القدوس المبارك ، الذى سمح بهذا العمل واعاننا ليكتمل بهذه الصورة .

وكلمة شكر ومحبة لأبينا الحبر الجليل الأنبا بنيامين أسقف كرسى المنوفية والنائب البابوى بالاسكندرية ، الذى يشجعنا بمحبته ويسندنا بصلواته .

وإعتراف بالجميل لأخوتى الذين شاركوا وتعبوا فى هذه السلسلة ليعوضهم الرب بالأجر السمائى ، بصلوات أبو الاباء وراعى الرعاة بطريركنا المحبوب البابا شنودة الثالث ، ولربنا كل المجد والكرامة الى الأبد أمين .

الصوم الأربعينى الكبير
١٩٩٢ م ، ١٧٠٨ ش

ديديموس الضرير

وُلد ديديموس الملقب بـ " الضرير *The Blind* " عام ٣١٣ م ، (اسم ديديموس هو اللفظ اليونانى المرادف لاسم توما) وفى الرابعة من عمره أصيب بمرض فى عينيه أفقده بصره كما يخبرنا بلاديوس [١] ، ولكن رغبته ومحبته الشديدة للمعرفة ذللت أمامه كل عقبة ، فبرغم فقدان بصره وفقره ، ورغم أنه لم يتعلم القراءة فى مدرسة ولا حتى النطق الأول للحروف ، إلا أن ذلك كله لم يثبط عزيمته ، فتعلم الابجدية بحروف منحوتة فى لوح من خشب ، وتعلم بنفسه كيف يقرأها بطريقة اللمس ، وبذا سبق برايل بخمسة عشر قرناً فى استخدام الحروف البارزة للعميان ، ويقول سقراط المؤرخ الكنسى أنه بهذه الطريقة علم نفسه قواعد اللغة والبلاغة والفلسفة والمنطق والحساب والموسيقى ، وقد درس كل هذا بعمق حتى أنه كان يستطيع أن يناقش كل من درس هذه العلوم من الكتب العادية ، ويقول چيروم أنه «تعلم الهندسة أيضاً التى كانت تحتاج الى النظر أكثر مما سواها حتى كان اعجوبة لكل ناظر اليه فانتشر صيته وذاع إسمه فى كل مكان» . [٢]

وفى عام ٣٤٦م أسند القديس أثناسيوس الرسولى اليه مسئولية إدارة مدرسة إسكندرية اللاهوتية كما يخبرنا روفينوس [٣] ، بسبب ذكائه وقدرته على الاستيعاب ودقة ملاحظته وعلو حجته ، وقد كان ديديموس آخر معلمى المدرسة المشهورين ، إذ أغلقت المدرسة العظيمة بعد نياحته بفترة وجيزة ، وكان چيروم وروفينوس من أشهر تلاميذ ديديموس ، وقد أطنب چيروم كثيراً فى مدح ديديموس ويذكر دوماً أنه معلمه *his magister* [٤] وأكد علو قدرته فى التعليم ومقدار الأثر الذى تركه فى لاهوت الغرب والشرق معا [٥] ، وكان يفتخر بأنه تلميذه وأنه اتخذه أستاذاً وقدوة له فى دراسة الكتاب المقدس ، كما ترجم له كتابه « عن الروح القدس » الذى يقول فى مقدمة ترجمته :

«إن ديديموس له عينان كعينى عروس نشيد الأنشاد ، فهو فى معرفته يحمل صفات الانسان الرسولى ، له فكر نير وكلمات بسيطة » .

ويسميه روفينوس *Rufinus* " النبى " و " الرجل

رسـولى " [٦]، ويخبرنا سوزومين المؤرخ أن تأثير ديديموس فى إقناع الشـعب بصحة تعاليم مجمع نيقية ضد الاريوسـيين كان لا يُضارع ، إذ إستطاع أن يجعل كل من يسمعه قادراً أن يكون حكماً فى هذا الموضوع [٧] ، فالبرغم من أن الحركة الآريوسية كانت على أشدها فى ذلك الوقت ، وبالرغم من تعرض الاساقفة والمعلمين المستقيمى الرأى للإضطهاد من الحكام المدنيين المؤيدين للآريوسيين ، إلا أن اللاهوتى السكندرى وقف يجاهد مع القديس أثناسيوس بعد أن أعجب بعبقرية وشجاعة باباه وحكمته الرسولية ، غير مبالٍ بالاضطهاد والمتاعب ، وحارب بقايا الوثنية التى تمثلت فيما سُمى بالأفلاطونية المحدثة وسائر الفلسفات الأخرى ، لذلك يقول سقراط المؤرخ :

«كان ديديموس عند الناس حصناً متيناً وسنداً قوياً للديانة المسيحية حتى قبل أن يتولى رئاسة المدرسة اللاهوتية ، وهو يُعد خصماً عنيداً كسر شوكة أتباع آريوس وأفحمهم فى مناظراته معهم » .[٨]

ولم يكن فى الاسكندرية من يستطيع تفسير فلسفة

أفلاطون أوضح مما يفسرها ديديموس ، ولا من يتحدث بطلاقة عن أرسطوطاليس قدره .

وشهد لقدرة ديديموس فى المعرفة والمحاججة والاقناع كثيرون وأهمهم إيسيذور البيلوزومى الذى وصفه بأنه " باحث مدقق لا يمكن أن يفوته شئ " [٩] كما يشهد له ليبانيوس *Libanius* فى إحدى رسائله التى أرسلها الى الدوق سباستيان وهو من الهراطقة المانيين الذين إضطهدوا الاسكندرانيين أثناء نفى البابا أثناسيوس الرابع ، وهو يقول :

« إذا لم تكن قد تعرفت على ديديموس فأنت لم تعرف هذه المدينة العظمى الاسكندرية بعد ، لأنه هو الذى يسكب عليها من تعاليمه لتثقيف الشعب ليل نهار » [١٠] .

ويروى بلاديوس عن ديديموس ـ وقد زاره ٤ مرات فى خلال عشرة سنوات [١١]ـ إنه فى يوم من الأيام كان حزنه عميقاً على المسيحيين الواقعين تحت إضطهاد يوليانوس الجاحد (من سنة ٣٦٠ ـ سنة ٣٦٣) ، فصرف يوماً كاملاً فى الصلاة والصوم وهو يطلب من الله أن يرفع الضيقة عن شعبه ، حتى تعب ونام

وإذ به يرى خيولاً بيضاء تجرى وكان راكبوها يهتفون قائلين : قولوا لديديموس أن يوليانوس قد مات اليوم الساعة السابعة ، قُمْ وكُلْ ، وارسل الى اثناسيوس الأسقف لكى يعرف هو أيضاً ما قد حدث ، فكتب تاريخ اليوم والساعة اللذين سمع فيهما الصوت وإذ بهما قد تزامنا تماماً مع الوقت الذى قُتل فيه يوليانوس [١٢] .

ولكن ديديموس لم يجذب معاصريه بتعليمه وفكره المستنير فقط ، بل وأيضاً بنسكه وحياته التقوية إذ أنه عاش حياة ناسك ، ويُروى أن القديس العظيم الأنبا أنطونيوس عندما زار ديديموس أثناء وجوده فى الاسكندرية لأول مرة دفاعاً عن الايمان المستقيم ضد الآريوسيين ، دخل قلاية ديديموس وطلب منه أن يصلى ووقف يسمعه بإتضاع [١٣] ، ثم جلسا يتحدثان فى الكتب المقدسة ، وسأله أبو الرهبان إن كان حزيناً على فقدان بصره ، فلما صمت ديديموس أعاد الأنبا أنطونيوس عليه السؤال مرة ثانية ، فأجابه قائلا أنه يحس بحزن شديد بسبب ذلك ، فقال له كوكب البرية « إنى لمتعجب من حزنك على فقد ما تشترك

فيه معك أقل الحيوانات ، ولا تفرح متعزياً لأن الله وهبك بصيرة أخرى لا يهبها ـ تقدس إسمه ـ إلا لمحبيه ، وأعطاك عينين كأعين الملائكة بهما تبصر الروحيات ، بل وبهما تدرك الله نفسه ويسطع نوره أمامك ، فأزال الظلام عن عينى قلبك واستنرت » [١٤] فتعزى ديديموس بهذا القول طوال حياته ورواه لتلميذه چيروم عام ٣٦٨ م حينما زاره ومكث عنده شهراً كاملاً كما يخبرنا فى مقدمة شرحه لرسالة أفسس ، ويعلق چيروم على هذه القصة بقوله :

« أفضل للانسان كثيراً أن تكون له الرؤية الروحية من أن تكون له الرؤية الجسدية ، ويمتلك عينين تميزان الخطية من الحق » . [١٥]

ويروى بلاديوس فى الفصل الرابع من تاريخه اللوزياكى عن ديديموس :

« حدث ان طلب منى ان اصلى فى قلايته ولما لم أستجب لطلبه ، روى لى هذه القصة : دخل انطونيوس هذه القلاية للمرة الثالثة لزيارتى واذ سألته أن يصلى ركع فى الحال وصلى ولم

يضطرنى الى تكرار الطلب ، مقدما لى مثلاً فى الطاعة ، والآن ان كنت تود ان تقتفى آثاره ـ كما يبدو عليك اذ تعيش فى خلوة بعيداً عن الأهل طالباً الفضيلة ـ فابعد عنك روح المقاومة » .[١٦]

فكانت صداقة ديديموس والانبا انطونيوس ايقونة لألفة العلم مع النسك ، اذ لم يكن ديديموس معلما فحسب بل كان أولا ناسكا يحيى علمه اللاهوتى قبل ان يعلمه ، ونلحظ فى كتاباته المسحة النسكية التى عاشها وتشربها من ابو الرهبان ، لذلك عندما يتكلم عن الروح القدس يتكلم عن عمله ودوره فى خلاصنا ، وإذا تكلم عن المعمودية اظهر بركاتها ومفاعيلها ودورها فى تجديدنا فربط المعرفة بالحياة .[١٧]

وتنيح العلامة السكندرى عام ٣٩٨ م وله من العمر ٨٥ عاماً ، قضى منها ٥٢ عاماً مديراً لمدرسة الاسكندرية اللاهوتية (من عام ٣٤٦ الى ٣٩٨) وضعفت المدرسة بموته .... وهكذا ظل يعلم ويكتب ويدير مدرسة الاسكندرية اللاهوتية زهاء النصف القرن ، تولى على كرسى الكرازة المرقسية اثنائها أربعة

من الاباء البطاركة :

البابا أثناسيوس (٣٢٨ - ٣٧٢م)

البابا بطرس الثانى (٣٧٣ - ٣٧٨م)

البابا تيموثاوس الأول (٣٧٩ - ٣٨٤م)

البابا ثيوفيلس (٣٨٥ - ٤١١م).

✝ ✝ ✝ ✝

كتابات ديديموس

إن المعرفة الواسعة التى ادهشت معاصريه وجدت لها تعبيراً فى عدد ضخم من الكتابات ، وبحسب بلاديوس « استطاع وبمقدرة فائقة ان يفسر الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد كلمة كلمة ، وكان له اسلوبه المتميز فى شرح العقيدة حيث كان يقدم شروحاته بمهارة وحكمة عظيمتين حتى انه فاق كل سابقيه فى المعرفة » [١] ، وهذا يتوافق تماما مع ما ذكره چيروم الذى يشير الى كتب اخرى لديديموس بجانب تفسيراته ، مثل :

عن الثالوث *De Trinitate*

عن الروح القدس	*De Spiritu Sancto*
عن العقائد	*De Dogmatibus*
ضد الاريوسيين	*Contra Arianos*

ولكنه يقول فى النهاية « وكتب اخرى كثيرة ، ان اردنا ان نعددها احتاج منا ذلك عملاً كاملاً قائماً بذاته »[٢] ، والتعاليم الفلسفية التى علم بها امبروسيوس واغسطينوس انما هى مستقاة من ديديموس الذى كان يحفظ عن ظهر قلب جميع اسفار العهدين القديم والجديد ولم يكن يقوم بتسميع هذه الاسفار فحسب ، بل كان يقارن بينها ويعلق عليها بدقة علمية عجيبة .

ولم يتبق إلا عدد ضئيل من هذا الانتاج الفكرى الضخم ، ويرجع ضياع الكثير من كتاباته الى الشك الذى أُثير حول بعض آرائه التى شابه فيها العلامة اوريجانوس ، وقد كتب ديديموس مدافعا عن اوريجانوس وعن كتابه " المبادئ *De Principiis* " ويقول فى دفاعه هذا :

« إن الذين يتهمون اوريجانوس بالابتداع هم عديمو الفهم لا قدرة لهم على ادراك الافكار العالية والحكمة التى امتاز بها ذلك

الرجل العظيم الذى يعد من النوابغ المشهورين » .[٣]

أ - الاعمال اللاهوتية

١) عن الثالوث

كان هذا العمل الهام من بين الاعمال التى وصلتنا ، وهو يقع فى ثلاث كتب بعنوان " عن الثالوث *On the Trinity* "Τὰ Περὶ Τριάδοσ Τρία Βιβλία".

وقد كُتب ما بين عام ٣٨١ وعام ٣٩٢م ، وهو فى توافق تام مع فكر القديس اثناسيوس فى دفاعه عن الجوهر الواحد للاقانيم الثلاثة ، ويرفض أى تدرجية *Subordinationism* فى الثالوث ، وفى نهايته يجيب على اعتراضات الآريوسيين والمقدونيين ، والعمل مقسم كما يلى :

الكتاب الأول : يتحدث عن الابن .

الكتاب الثانى : يتحدث عن الروح القدس .

الكتاب الثالث : يلخص الكتابين الأولين ويناقش أهم الآيات الكتابية التى استند عليها الهراطقة فى أفكارهم المنحرفة .

ويُعد هذا العمل شاهداً على معرفة كاتبه الواسعة والفائقة بالكتاب المقدس .

٢) الروح القدس

فى كتابه " عن الثالوث " يشير ديديموس مرتين [٤] الى كتابه " عن الروح القدس *On The Holy Spirit* Περὶ τοῦ ἁγίου πνεύματοσ λόγοσ".

ورغم أن الاصل اليونانى قد فقد إلا ان لدينا ترجمة لاتينية قام بها چيروم فى الفترة ما بين عام ٣٨٤ وعام ٣٩٢ ميلادية بناء على اقتراح البابا داماسوس *Damasus* [٥] وقد استخدم القديس امبروسيوس اسقف ميلان النص اليونانى لهذا الكتاب عام ٣٨٤م كمصدر لكتابه عن "الروح القدس *De Spiritu Sancto*" وهكذا كتب ديديموس هذا الكتاب على الاقل قبل عام ٣٨١م وهو واحد من أفضل الكتب التى كُتبت عن هذا الموضوع فى القرن الرابع .

وينقسم هذا الكتاب كالآتى :

القسم الأول : (من الفصل ٤ الى ٢٩) يقدم الدليل على أن الروح القدس ليس مخلوقاً بل واحداً فى الجوهر مع الاب والابن (هومواوسيوس مع الاب والابن) .

القسم الثانى : (من الفصل ٣٠ الى ٥٩) يقدم نصوص كتابية تؤكد عقيدة الكنيسة المستقيمة وتدحض اعتراضات اعداء الروح القدس *the Pneumatomachi* .

٣) ضد المانيين

هذا العمل *Against the Manichaeans* موجود باليونانية ويتكون من ١٨ فصلاً قصيراً ، وفى شكله الحالى الذى وصلنا به ، المقدمة ناقصة والانطباع السائد هو ان هذا النص انما هو مجرد جزء من كتاب اخر أكبر ، ومما يجعلنا واثقين من أن ديديموس هو كاتب هذا العمل ، انه دخل فى مناقشات وجدالات مع المانيين فى كتابيه " عن الثالوث " و " عن الروح القدس " وايضا فى تفاسيره للاسفار المقدسة ، وليس هناك أى اشارة او دليل على ان ديديموس تأثر فى عمله هذا بكتاب سرابيون

الاسقف الذى يحمل نفس العنوان " ضد المانيين " رغم انه يبدو انه يعرفه .

٤) الاعمال العقيدية المفقودة

١ ـ فى كتابه " عن الثالوث " يشير ديديموس ما لا يقل عن ١٤ مرة الى كتاب آخر له باسم " الكلمة الأول *The First* Πρῶτοσ λόγοσ – *Word*".

٢ ـ له عمل بعنوان " عن الشيع *Sectarum Volumen* " . ولم يتبق منه شئ إلا ما ذكره فى كتابه " عن الروح القدس " [٦] والذى يشرح فيه ان الروح القدس لا ينال الحكمة بل هو نفسه الحكمة .

٣ - يذكر سقراط المؤرخ [٧] ان ديديموس كتب عملاً خاصاً للدفاع عن كتاب اوريجانوس " عن المبادئ الأولى *On First Principles* " ولكن لم يصلنا شئ من هذا العمل .

٤ ـ ذكر چيروم فى كتابه "مشاهير الرجال [٨] ان ديديموس كتب كتابين "ضد الآريوسية" وكتاباً "عن العقائد *De Dogmatibus*" .

٥ ـ يذكر يوحنا الدمشقى [٩] عملين آخرين لديديموس هما " عن الفلسفة *De Philosophum* "
و " عن التجسد *De Incorporeo* " وأخذ منهما مقتطفات قصيرة .

ب ـ الاعمال التفسيرية

١) العهد القديم

بحسب چيروم ، كتب ديديموس شروحات وتفاسير للاسفار التالية : المزامير ، أيوب ، اشعياء ، هوشع ، زكريا ، وقد ذكر كاسيودورس *Cassiodorus* [١٠] انه كتب ايضا تفسير لسفر الامثال ، ولكن هذه الاعمال لم تصلنا كاملة بل مجرد مقتطفات واجزاء منها ، وفى شهر اغسطس من عام ١٩٤١م ، كان لجيش الاحتلال الانجليزى فى مصر بعض المغائر فى مدينة طرة (من ضواحى القاهرة بين المعادى وحلوان) يحتفظون فيها بمعداتهم ، وحدث اثناء استخدام هذه المغائر ان أكتشف اكثر من ألفى (٢٠٠٠) بردية فى كهف بدير على اسم القديس ارسانيوس ، وترجع هذه المخطوطات الى القرن السادس الميلادى ، وهى تحوى

جزء بسيطاً من العظات الفصحية للعلامة اوريجانوس ، اما الجزء الاكبر فهو عبارة عن تفاسير لاسفار العهد القديم لديديموس الضرير وهى كالآتى :

* تفسير لسفر زكريا (وُجدت اجزاء كثيرة لدرجة أن الكتاب تقريباً كامل) .
* تفسير لسفر الجامعة (غير كامل) .
* تفسير للمزامير (٢٠ مزموراً فقط) .
* تفسير لسفر التكوين (١٦ اصحاحاً) .
* تفسير لـ ٣٣ آية من الاصحاح السادس من انجيل يوحنا .
* محضر جلسة على شبه حوار بين ديديموس واحد الهراطقة من اتباع ابوليناريوس .

وقد نشر هذه البرديات العالمان *O.Guér and J. Scherer* .

ومن خلال تفاسير ديديموس نستطيع ان نرى منهجه الرمزى الروحى فى التفسير والذى يثبت انه كان تلميذاً حقيقياً لاوريجين ، ومثل معلمه السكندرى ، اظهر اهتماماً خاصاً بنقد النص *text criticism* ، وقارن بين مخطوطات متنوعة للترجمة

السبعينية ، ولكن قراءته الدقيقة للنص لم تمنعه من استخدام التفسير الرمزى المتحرر ، اذ كان مقتنعاً بان العهد القديم يتضمن رسالة مسيحية هامة فى كل موضع فيه ، وان كل مزمور يشير الى السيد المسيح (الرمز والمرموز اليه) .

ومن تفسيره لسفر الامثال لا يوجد إلا اجزاء ضئيلة ، وقد ترجمها ابيفانيوس السكولاستك *Scholastic* بناء على اقتراح كاسيودورس *Cassiodorus* غير ان هذه النسخة فقدت بكاملها .

وتفسيره لاشعياء يشمل ما لا يقل عن ١٨ مجلداً ، رغم انه يتناول فقط الاصحاحات من ٤٠ الى ٦٦ اذ ان ديديموس كان ينظر الى هذه الاصحاحات كسفر مستقل .[١١]

٢) العهد الجديد

كتب ديديموس تفاسير على :

انجيل متى ـ انجيل يوحنا ـ اعمال الرسل ـ رسالتى بولس الرسول لاهل كورنثوس ـ الرسالة لاهل غلاطية ـ الرسالة لاهل

أفسس .

وقد استخدم چيروم تفسير معلمه ديديموس لانجيل متى فى تفسيره هو لنفس الانجيل [١٢] ، ولا نعرف عن هذا التفسير شىء اخر عدا ذلك ، أما تفسيره لانجيل يوحنا فلم يتبق منه إلا بضعة مقتطفات [١٣] ، وهو يصف يوحنا الحبيب بانه " العظيم بين اللاهوتيين Ὀπυλύσ έν θεολόγοισ".

ويمكننا ان نجد اجزاء من تفسيره لسفر اعمال الرسل فى تفسير ثيوفيلاكتس *Theophylactus* لنفس السفر ، وطبعة مينى التى نشرت النص اليونانى غير كاملة الى حد كبير [١٤] ، وقد قدم *J . A . Cramer* ثلاثين جزء جديداً لم يُذكر فى طبعة مينى ونشرهم [١٥] .

لم يكن هناك إلا القليل جداً من تفسيره للرسالة الاولى لاهل كورنثوس (مجرد مقتطفات منها قدمها القديس چيروم فى رسالتيه ٥ ، ١١٩) حتى نشر *K. Staab* مخطوطة تحوى ثمانية

وثلاثين جزء من هذا التفسير ، وهذه الاجزاء تتضمن الجزء الاكبر من شروحات ديديموس على الاصحاحين ١٥ ، ١٦ من الرسالة الاولى لاهل كورنثوس ، وتتضمن ايضا هذه المخطوطة التى نشرها *K . Staab* بعض شذرات من تفسير ديديموس للرسالة الثانية لاهل كورنثوس .

وكان تفسيره للرسالة لاهل غلاطية ، الذى كتبه قبل عام ٣٨٧م ، مصدراً لتفسير چيروم لنفس الرسالة [١٦] ، وقد استخدم القديس چيروم ايضاً فى تفسيره للرسالة لاهل أفسس تفسيراً صغيرا كتبه ديديموس الضرير لهذه الرسالة [١٧] ، ولكن لم يتبق شئ من هذين العملين .

ويقول القديس چيروم انه سأل ديديموس أسئلة فى الكتاب المقدس وسمع منه اجابات مقنعة ما كان يعرفها قبلاً ووصل اعجاب چيروم بالقديس ديديموس الى درجة انه لما طلب منه داماسوس رئيس اساقفة روما وقتذاك ان يكتب له كتاباً عن الروح القدس ، اجابه چيروم « لم اجد كتاباً عن الروح القدس اعظم من الكتاب الذى وضعه ديديموس الضرير واقترح ان اترجمه لك »

وترجمه فعلا الى اللاتينية .

ويقول قداسة البابا شنودة الثالث [١٨] ان القديس ديديموس وضع ٤٨ كتاباً منها ٢٠ كتاباً فى اللاهوت و٢٨ كتاباً فى التفسير ، وكان فى التفسير يتبع مدرسة التفسير الرمزى بعكس القديس باسيليوس الذى كان يتبع مدرسة التفسير الحرفى .

† † † †

لاهوت ديديموس

إن للاهوت ديديموس أهميته فى دراسة تاريخ الفكر اللاهوتى وتطور العقيدة الثالوثية والخريستولوجية ، ولانه يقف بين القديس اثناسيوس وبين الاباء الكبادوك ، لذا يشهد لمرحلة هامة فى تاريخ الفكر ، وكتاباته هى ثمرة لعظاته فى مدرسة الاسكندرية اللاهوتية ، وهى تظهر تأثير أوريجانوس وأثناسيوس ، ولكنها فى نفس الوقت ، بتطويرها للتعليم التقليدى السكندرى ، وضعت اساسات خريستولوجيا القديس

كيرلس الكبير عمود الدين .

١) الثالوث

ان ديديموس هو فوق كل شئ لاهوتى ثالوثى ، وافضل تعبير عن عقيدته فى الثالوث كان التعبير « جوهر واحد وأقانيم ثلاثة Μία οὐσια, τρεῖσ ὑποστάσεισ » الذى استخدمه مرة ومرات فى محاوراته مع الآريوسيين ، ولأن هناك جوهر واحد للثالوث ، لذا يخلص ديديموس الى انه لا يمكن ان يكون هناك إلا عمل واحد للاقانيم الثلاثة :

« لقد ثبت فى كل الاشياء ان هناك عمل واحد للآب والابن والروح القدس ، وليس هناك إلا عمل واحد إذ ليس إلا جوهر واحد ، لان كل ما هو من نفس الجوهر ، له بالمثل نفس الاعمال » . [١]

ومرة اخرى يثبت وحدة الطبيعة عن طريق وحدة العمل :

« طالما ان هذه (الاقانيم) المتساوية فى الجوهر تستحق نفس الكرامة ولها نفس العمل ، اذاً لها نفس الطبيعة ، ولا تختلف عن

بعضها البعض ، لا فى الألوهية ولا فى العمل » . (٢)

وعلم بأن الاقانيم الثلاثة لهم نفس العمل والقدرة والكرامة ، ويرى ان هذا قد استعلن بصفة خاصة فى معمودية الرب ، ونلاحظ فى فكره الثالوثى ارتباط وطيد بالقديس اثناسيوس ، اذ انه يؤكد على :

وحدة الجوهر ـ هومواوسيوس	'Ομοοῦσιοσ'
ووحدة العمل ـ الانرجيا	'Ενέργεια'

فى الثالوث ، وحيث ان الاقانيم الثلاثة متساوية فى الجوهر وعملهم واحد ، لذلك اللاهوت واحد لا ينقسم ، وقد قدم ديديموس العديد من الاثباتات الكتابية فى حديثه عن الثالوث ، لانه يعتبر العهدين جبلين عظيمين يزخران بالاشجار المثمرة ، والثمار هى الكلمات التى تشهد للثالوث وللتجسد الالهى . (٣)

وعندما يتحدث عن العناية الالهية ، يذكر ان الاب والابن والروح القدس يتشاركون فيها بسبب وحدة جوهرهم :

« هؤلاء الذين يتشاركون فى نفس العناية لهم نفس المجد ونفس الجوهر » . (٤)

وبالطبع هذه الوحدة التامة فى الطبيعة والارادة والعمل تفوق الفهم البشرى :

«من المستحيل ان نفهم او ندرك حتى هذه ، كيف ان الثالوث له ارادة واحدة ، ويتحدث ويهب العطايا ويكون هذا الحديث ومنح العطايا خاصاً بالاقانيم الثلاثة معاً» . (٥)

ويشرح ذلك ايضاً فى كتابه " عن الروح القدس " ، اذ يقول :

« كل من يتصل بالروح القدس ، ففى نفس اللحظة يتقابل مع الاب والابن ، وكل من يشترك فى مجد الاب ، فانه يأخذ هذا المجد من الابن بالروح القدس ، وهكذا ثبت فى كل شئ ان هناك عمل واحد للآب والابن والروح القدس » . (٦)

« فى نهاية الرسالة الثانية ، كتب بولس الى اهل كورنثوس يقول " نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله وشركة الروح القدس مع جميعكم " {٢ كو ١٣ : ١٣} ومن هذه الكلمات يظهر عمل واحد للثالوث ، لان كل من ينال نعمة المسيح ينالها بمشيئة الاب وبعطية الروح القدس ، لان النعمة تُعطى من الله الاب وربنا يسوع المسيح ، فالاب لا يعطى نوعاً من النعمة والابن نوعاً

آخر ، بل يصف القديس بولس هذه النعمة بانها تُعطى من الاب ومن ربنا يسوع المسيح وتكتمل بشركة الروح القدس » . (٧)

« عندما ينال الإنسان نعمة الروح القدس ، ينالها كعطية من الاب ومن ربنا يسوع المسيح ، فبالنعمة الواحدة التى من الاب والابن والمكتملة بعمل الروح القدس ، يثبت ان الثالوث له جوهر واحد » . (٨)

✝ ✝ ✝

٢) الخريستولوجى (طبيعة المسيح)

إن لخرستولوجيا القديس ديديموس أهميتها فى التاريخ السابق للجدالات الخريستولوچية ، ومع أنها لم تتسم بالسمة الخلاصية التى تميز لاهوت القديس أثناسيوس ، إلا أنها تؤكد على وجود النفس البشرية العاقلة فى المسيح ، وفى كتابه "عن الثالوث" يفند اللاهوتى الضرير البدعة الاريوسية القائلة بإن المسيح لم يكن له نفس بشرية عاقلة ، فيقول :

«كيف كان يمكن أن يثبت بوضوح أنه قد صار جسداً حياً فى الحقيقة Ἔμψυχοσ وليس مجرد شبه، على عكس ما يعتقد المانويون الذين يقولون أنه كان له شبه جسد ، والاريوسيون الذين يعتقدون أنه كان بدون نفس ἄψυχοσ ، ما لم يكن قد قال "نفسى حزينة" ، وما لم يكن قد أظهر الخوف ونام وأكل وشرب ؟ لأن هذا لا يوافق اللاهوت ولا الجسد بدون نفس» . (١)

«ظهر ناسوته لنا فى كل شيء ما عدا الخطية ، ولم يكن جسده بغير نفس» . (٢)

كذلك أكد ديديموس على أن جسد السيد المسيح كان من نفس جوهر جسدنا *Consubstantial with us* وأن نفسه كانت من نفس جوهر نفسنا ، فهو يقول :

«ان نفس يسوع عاقلة ومن نفس جوهر نفوس البشر ، كما أن جسده المأخوذ من مريم من نفس جوهر ناسوت البشر» . (٣)

وتحدث ديديموس عن الاتحاد بين اللوغوس والنفس البشرية مؤكداً أن هذا الاتحاد ابدى لا ينفك *Indissoluble* (٤) ، ولان يسوع انسان كامل ἄνθρωποσ τέλειοσ لذا فهو خاضع لكل

ضعفاتنا وإحتياجاتنا ماخلا الخطية وحدها ، وبينما تقدس ناسوته بالإتحاد مع اللوغوس ، إلا أنه لم يفقد قابليته للموت *Passibility* .

وفى تفسيره لقول الرب فى سفر زكريا «استيقظ يا سيف على راعى وعلى رجل رفقتى» {١٣ : ٧} يشرح ديديموس تدبير الفداء والقيامة :

«إن الله الذى أرسل راعيه ليُسلّم من اجل الخراف ـ وهو عالم بالجرأة والوقاحة التى لأولئك الاشرار ـ أمر سيفه أن يستيقظ على راعيه وعلى رجل رفقته ، ويعنى بهذا الأخير الشعب العبرانى ، ومع ذلك فالسيف الذى أشهر قد قتل رفيقه فقط دون أن يمس بأى أذى الراعى الذى جاز الموت اشفاقاً منه على قطيعه ، لأنه كيف لا ينجو من كل أذى ذلك الذى يقول لله "نج من السيف نفسى" {مز ٢١ : ٤٢١} » .

لقد خرج الراعى الصالح وحيداً ليقابل السيف إذ لم تقبله خاصته ولكنه لم يكن سيف العدل بل سيف الانتقام العادل من أجل خطايا اسرائيل وكل العالم ، وجميل جداً أن نلاحظ أن هذا

السيف لم يكن مجرد آلة خرساء فى يد هذا أو ذاك من الصالبين ، بل كان آلة فى يد الآب نفسه ليكمل بها تدبير الخلاص للبشرية ، لذا نطق بهذه الكلمات "إنى أضرب فتتبدد الرعية" {مت ٢٦ : ٣١} » .

أما القيامة عند ديديموس ، فهى إعادة اتحاد النفس التى نزلت الى الجحيم لمدة ثلاث أيام وثلاث ليال ، مع الجسد الذى كان موضوعاً فى القبر [٥] ، ويؤكد ديديموس [٦] أنه ليس هناك أى إمتزاج بين اللاهوت والناسوت فى المسيح نتج عنه طبيعة ثالثة جديدة ، وأن اللاهوت والناسوت إتحدا بدون تغيير ἀτρέπτωσ وبدون إمتزاج ἀσυγχύτωσ .

كذلك أكد مدير مدرسة الاسكندرية اللاهوتية على الطبيعة الواحدة للمسيح ، إذ شرح أننا لا نؤمن بأن الإبن الذى من الآب هو آخر غير ذاك الذى تجسد وصُلب [٧] .

والمسيح عند القديس ديديموس الضرير هو اليهودى الحقيقى إذ يقول فى تفسيره لسفر زكريا {٨ : ٢٣} :

«فى تلك الأيام يمسك عشرة رجال من جميع ألسنة الأمم يتمسكون بذيل رجل يهودى قائلين نذهب معكم ، لأننا سمعنا أن الله معكم» .

يلزمنا أولاً أن نعرف من هو ذلك الرجل المسمى بالذات " يهودى" وأظن أنه لا يمكن أن يختلف عن ذلك الذى ذكره كاتب الرسالة الى العبرانيين "أنه واضح أن ربنا قد طلع من سبط يهوذا" {عب ٧ : ١٤} لكى يحكم ويملك على اليهود فى "الداخل" الذين لهم "ختان القلب بالروح" وهو نفسه المقصود أيضاً فى البركة التى نطقها يعقوب "يهوذا يحمدك اخوتك" .

هذا هو اليهودى الحقيقى الذى طلع من أصل "يسى" وعشرة رجال من كل الألسنة والأمم يمسكون بذيل ثوبه قائلين "نذهب معكم لأننا سمعنا أن الله معكم" ، والرقم عشرة له دلالة سرية فواضح أنه يمثل جميع المؤمنين ، وفى حياة كل إنسان يمثل الحواس الخمس الظاهرة والباطنة المقابلة لها ، وهو أيضاً الرقم العاشر فى الابجدية اليونانية أى حرف اليوتا رمز إسم الخلاص الذى لربنا يسوع المسيح "إيسوس"» .

ويرى القديس ديديموس السكندرى فى الرجل الراكب على فرس أحمر المذكور فى الاصحاح الأول من سفر زكريا رمزاً للرب المخلص المتجسد ، والفرس الاحمر هو الجسد الذى لبسه ، وقد رآه زكريا النبى "وهو واقف بين الآس الذى فى الظلام" أى بين الجبال المظللة التى هى العهد القديم والجديد ، وهى جبال خصبة ومظللة بسبب غنى الافكار وكثرة نصوص الكتاب المقدس عن التجسد .

✞ ✞ ✞

٣) الروح القدس

كان العلامة ديديموس مثل البابا اثناسيوس الرسولى فى تعاليمه عن الروح القدس ، فعقيدة الروح القدس وثيقة الصلة بعقيدة الإبن ، والهرطقة الخاصة بالروح منشؤها الهرطقة الخاصة بالإبن ، لذلك لم يكتف ديديموس بتخصيص الجزء الثانى من كتابه "عن الثالوث" للحديث عن الروح القدس بل أفرد أيضاً كتاباً خاصاً "عن الروح القدس" حتى أنه دعى بحق "لاهوتى

الروح القدس *The Theologian of The Holy Spirit*" ، وقد شرح فى مقدمة كتابه "عن الروح القدس" أنه يفضل الصمت بسبب قدسية ومهابة الحديث عن الروح القدس ، لكنه كتب بسبب إنتشار الأخطاء على أيدى الهراطقة المخادعين .[١]

ورداً على فكر الآريوسيين القائل بأن الروح القدس مخلوق ، أكد القديس ديديموس على أن الروح القدس ليس مخلوقاً ، تماماً كما أن الإبن ليس مخلوقاً ، وعقد مقارنة بين معمودية السيد المسيح ومعمودية الموعوظين قال فيها :

«المخلوق يُمسح فى المعمودية بزيت مخلوق ومقدس ، أما المخلص كإله فمُسح فى المعمودية بروحه الكلى القداسة الذى هو غير مخلوق مثله ، فائقاً (أى المخلص) رفاقه الذين هم نحن ، ولكن لو كان الروح القدس مخلوق ، لما مُسح به ذاك الغير مخلوق» .[٢]

فالاقنوم الثالث فى الثالوث القدوس ليس مخلوقاً بل هو مساوى تماماً للآب :

«لقد ثبت أن الروح القدس ليس فقط إله ، بل أيضاً مساوى للآب ... وكل من كان مسكناً للآب ، له أيضاً الابن والروح القدس يسكنان فيه ، كما أن كل من له كرامة إقتناء الروح القدس والإبن ، له الآب أيضاً» .[٣]

ويثبت العلامة اللاهوتى ديديموس لاهوت الروح القدس من وحيه لأنبياء العهد القديم ومن إختياره للرسل وكرازتهم وشهادتهم ، ومن شهيد المسيحية الأول القديس إسطفانوس ، ومن قصة حنانيا وسفيرة الطماعين ، ومن إفرازه لبولس وبرنابا للخدمة ، ومن حديث بولس الرسول فى {١كو ٣ : ١٦}[٤] ، فالروح القدس هو واحد فى العهد القديم كما فى العهد الجديد ، وهو قدوس وصالح وأزلى لا بداية له ولا نهاية ، غير متغير.[٥]

وعن إنبثاق الروح القدس ، يعلم ديديموس بإنبثاقه من الآب فقط :

«الروح القدس ينبثق من الآب ويستقر إلهياً فى الإبن» .[٦]

ويقول ان الروح القدس هو صورة الابن كما أن الابن هو صورة

الآب [٧] ، وأنه روح الإبن ، روح اللوغوس ، روح المخلص [٨] ، وكما أن الابن هوموأوسيوس *Homoousios* مع الآب ، كذلك الروح القدس هو مو أوسيوس مع الآب والإبن (أى واحد معهما فى الجوهر) . [٩]

وعمل تقديس النفس فى فكر ديديموس هو عمل خاص بالروح القدس ، ففى المعمودية ، يجدد الروح القدس النفس ويقدسها ، وهذا العمل وإن كان يختص به الروح القدس إلا أنه ليس بمعزل عن الآب والإبن ، فالمعمودية هى سر الروح القدس ، وجرن المعمودية هو بمثابة معمل للثالوث القدوس يهب فيه الروح القدس ميلاداً جديداً للنفس ، ومع ذلك لا تجدى المعمودية شىء للذين لا يؤمنون أن الروح القدس هو الله . [١٠]

والروح القدس هو نبع وقمة عطايا الله للإنسان ، وهو فى الثالوث يمثل عطية الآب والإبن المشتركة ، فهو العطية الأولى لانه المحبة والمحبة هى سبب كل العطايا والهبات الإلهية [١١] ، لذلك كل العطايا متضمنة فيه :

«فى جوهر الروح القدس يوجد ملء وفيض العطايا» . [١٢]

«من المستحيل لأى أحد أن ينال نعمة الله أن لم يكن عنده الروح القدس ، الذى كل العطايا متضمنة فيه» . [١٣]

«لذلك ، من الواضح أن الروح القدس هو ملء وفيض كل العطايا ، وليست عطية تمنح بدونه ، لأن كل ما نناله من مواهب وعطايا الله ، إنما ينبع من هذا الينبوع» . [١٤]

ويصف ديديموس الروح القدس وصفاً رائعاً يقول فيه :

« هو المُقدس والمحيى ، ونور السماء المنتشر ، الحافظ الكل ... المجدد والمحرر كمثل الرب وإبن الله الذى صنعنا ، فهو روح التبنى .

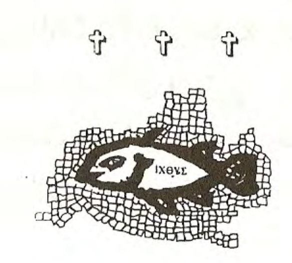
يطير بنا الى أبواب السماء ويقتادنا الى مداخل الخلاص ، وهو النعمة الإلهية المالئة الأشياء الخاوية والضعيفة العابرة ... هو ينبوع المواهب والعطايا الذى لا يفرغ .. ومنطلق وأساس كل فكر صالح ... يكشف حقاً المزمعات ... ختم الخلاص والموهبة الإلهية ... عربون الخيرات الأبدية .

منه كل خليقة ما يُرى وما لا يُرى ، عاقلة وغير عاقلة ، هو يقويها ... الذى منه يصير لنا التجديد الإلهى ومغفرة الآثام وستر الخطايا والنزوع نحو الله ..

إكليل للأبرار وحافظ للأخيار ، المسكن السماوى ، الحياة التى لا تنتهى ، وميراث ملكوت الله الأبدى» . (١٥)

ويرى القديس ديديموس الضرير أنه يستحيل ان ينال أحد نعمة الله ما لم يكن له الروح القدس ، وهو الروح المعزى بسبب عمله ، لأنه ليس فقط يعطى راحة لمن يجدهم مستحقين ويخلصهم من كل غم وإضطراب فى النفس ، بل فى نفس الحق يمنحهم فرحاً أكيداً لا ينحل ، ويسكن فى قلوبهم فرح أبدى حيث يقطن الروح القدس .

✝ ✝ ✝



٤) الاكلسيولوجى (الكنيسة)

الروح القدس هو الذى يوزع النعم والمواهب المختلفة فى الكنيسة التى أسسها المسيح :

«لقد أسس السيد المسيح كنيسته على الأنهار جاعلاً إياها بمقتضى قوانينه الالهية ، قادرة على قبول الروح القدس ، الذى منه كما من نبع تتدفق النعم المختلفة كينابيع ماء حى» . (١)

وبهذا الروح عينه تصير الكنيسة أماً للجميع ، ومن رحمها البتول تلد ابناءها فى جرن المعمودية :

«إن جرن المعمودية الذى للثالوث هو معمل الخلاص لكل من يؤمن ، إنها تحرر كل الذين يغتسلون فيها من لدغة الحية ، وبينما تظل بتولاً ، تصير أماً للجميع بالروح القدس ، هذا ما يعنيه المزمور "أبى وأمى تركانى أما الرب فقبلنى" فهو الذى أعطانى أماً هى جرن المعمودية وأباً هو الله العلى ، وأخاً هو الرب يسوع الذى إعتمد من أجلنا» . (٢)

وهكذا كان العلامة ديديموس الضرير المبصر أول من وصف

جرن المعمودية بأنه أم دائمة البتولية للمعتمدين ، ومثمرة بالروح القدس ، وفى موضع آخر يدعو الكنيسة "عروس المسيح" (٣) و"أمنا" (٤) ، وكذلك تحدث أيضاً عن الكنيسة كجسد المسيح السرى (٥) ، وتكلم فى تفسيره لسفر الأمثال عن الإفخارستيا وحضور الرب الفعلى .

ورأى ديديموس أن الفلك هو رمز للكنيسة :

«الفلك الذى خلص اولئك الذين احتموا فيه هو صورة للكنيسة العظيمة، والرجاء الصالح الذى نلناه بواسطتها » . (٦)

وعن جهاد الكنيسة فى هذا العالم يقول :

«تنجب الكنيسة أولاداً وهى فى العالم خلال الآلام ، لأن الفضيلة تستلزم الحزن ، والحزن ينشئ توبة للخلاص بلا ندامة ، ما أضيق الباب وما أكرب الطريق المؤدى للخلاص»(٧) ، فالكنيسة تنجب أولادها بالألم لأن الدموع ممدوحة وتثمر أولاداً روحيين لها .

وحث العلامة ديديموس السكندرى على إستقامة الفكر وطاعة

الوصية والتعاليم الالهية :

«إن الكنيسة ، جسد المسيح الرأس ، هى الخلائق العاقلة التى تخضع للتعاليم والشرائع الإلهية ، وأولئك الذين سلكوا فى وصاياه قد بنوا حياتهم كبيت على الصخر الذى هو المسيح ،لقد شيدوا قواعد وأساسات البيت على الإيمان الصلب غير المنهزم ، الايمان بالثالوث القدوس» . (٨)

«إن الرب هو جزاء مجد لاولئك الذين مجدوه فى أجسادهم والأتقياء الذين حفظوا فكر الكنيسة بإستقامة والجديرين بأن يدعوا ارثوذكسيين» . (٩)

وهو يرى أن «الكنيسة هى أم المؤمنين ، والمسيح هو أب لهم ، فيه تنبع كل أبوة ما فى السموات وما على الأرض» . (١٠)

✝ ✝ ✝

٥) المعمودية

كان سقوط الابوين الاولين عند ديديموس هو الخطية الاولى القديمة Παλαιὰ ἁμαρτία التى غسلنا منها السيد المسيح فى معموديته فى الاردن (١) ، وقد ورثها كل أبناء آدم من خلال زواج والديهم ، ولهذا لم يتسخ بها السيد المسيح لأنه وُلِد من عذراء . (٢)

وفى حديثه عن آثار المعمودية (مفاعيلها وبركاتها) يشير الى البعدين السلبى والايجابى ، أى التطهير من الخطية الاولى ونتائجها ومن الخطايا الشخصية ، ونوالنا البنوية لله بالتبنى :

«الروح القدس ـ كإله ـ يجددنا فى المعمودية ، وهو بإتحاده مع الآب والإبن يردنا من حالة التشوه والقباحة ، الى جمالنا الأصلى الأول ، وهكذا يملأنا من نعمته حتى لا نعود نعطى مكاناً لأى شىء لا يستحق محبتنا ... أنه يحررنا من الخطية والموت ومن الارضيات ، ويجعلنا روحيين شركاء فى المجد الالهى ، أبناء وورثة لله الآب ، يشكلنا بحسب صورة إبن الله ، يجعلنا شركاء فى الميراث وإخوة له ، نحن الذين سنتمجد ونملك

معه ، انه يعطينا السماء مقابل الأرض ، يهبنا الفردوس بأيدى سخية مفضالة ، ويجعلنا أكثر كرامة من الملائكة ، وفى المياه الإلهية التى فى مغسل المعمودية ، يطفئ نيران الجحيم التى لا تطفأ » . (٣)

«حينما نغطس فى جرن المعمودية ، فإننا بإحسان وصلاح الله الآب وبنعمة الروح القدس ، تُنزع عنا خطايانا عندما نخلع الإنسان العتيق ، ونولد ثانية ونُختم بقوته ، وحينما نخرج من الجرن ، نلبس المسيح مخلصنا كثوب لا يبلى ، وهو المستحق لنفس الكرامة مثل الروح القدس الذى يجددنا ويختمنا بختمه ، لأن الكتاب المقدس يقول : "لإنكم كلكم الذين إعتمدتم للمسيح قد لبستم المسيح" {غلا ٣ : ٢٧} فبالنفخة الالهية نلنا صورة الله ومثاله ، كما يقول الكتاب ، ولكننا فقدناها بسبب الخطية ، وها نحن الآن ثانية كما كنا حين خُلقنا أولاً ، بلا خطية وأسياداً على نفوسنا » . (٤)

فالمعمودية هى ضرورة حتمية للخلاص ، وحتى الحياة الكاملة التى بلا خطية لا يمكن أن تُغنى عن المعمودية :

«لا ينال أحد غير مولود ثانية بروح الله القدوس وغير مختوم بختم تقديسه ، أى عطايا سماوية ، ولو كانت حياته كاملة بلا خطية فى كل شىء آخر» . [٥]

والإستثناء الوحيد لذلك هو معمودية الدم التى هى أيضاً عمل الروح القدس :

«هؤلاء الذين نالوا إكليل الإستشهاد قبل المعمودية ، إذ قد إغتسلوا فى دمائهم ، فإنهم يحيون بروح الله القدوس» . [٦]

ويلخص ديديموس آثار المعمودية فى النفس البشرية بقوله :

«بتجديدنا فى المعمودية نتمتع بشركة وعشرة مع الله على قدر ما تسمح قدرات طبيعتنا ، كما قال البعض : على قدر ما يستطيع الإنسان المائت أن يشابه الله» . [٧]

وجاء فى كتاب دانيلو *J. Denielou** فكر القديس ديديموس عن المعمودية :

* *The Bible and The Liturgy.*

* قام القديس ديديموس السكندرى بوضع وتطوير قائمة برموز المعمودية التى وردت فى العهد القديم [٨] ، فرأى أن الثالوث غير المنقسم ولا منطوق به منذ الأزل ، أوجد الماء من العدم ، وأعد للإنسان الشفاء المزمع أن يتم فى المياه ، ففى اللحظة التى إعتمد فيها يسوع نزل الروح القدس على أمواج الأردن وإستقر عليها . [٩]

* ويرى القديس ديديموس ان عبور البحر الأحمر فى العهد القديم يرمز للمعمودية ، بإعتبار انه خلص الإسرائيليين من الهلاك ، وكل تاريخ الخروج كان رمزاً للخلاص الذى يتم فى المعمودية ، ويرى أن مصر ترمز للعالم الذى فيه شقاءنا بالحياة الشريرة التى نعيشها ، والشعب هم الذين يستنيرون (يعتمدون) ، والماء الذى هو واسطة الخلاص للشعب يمثل المعمودية ، وفرعون وجنوده رمز للشيطان وأعوانه . [١٠]

* ويعلق القديس على إعلان إليشع النبى عن غنى مياه المعمودية غير الموصوف ويعتبر أنه سيمتد الى كل الذين يرغبون فى قبول الإيمان . [١١]

* تكلم القديس ديديموس عن المعمودية كعلامة دخول فى الملكية الإلهية بإعتبار أن الروح القدس يسمنا بعلامته الخلاصية لنعود الى شبهنا الأول ، لأن القطيع الذى لا يُميز بعلامة يكون غنيمة سهلة للذئاب ، فلا يكون له عون الختم ولا يكون معروفاً من الراعى الصالح ...

✝ ✝ ✝

٦) الماريولوجى (والدة الإله)

يدعو ديديموس القديسة مريم "والدة الإله Θεοτόκοσ" وهو تعبير سكندرى مفضل لديه ، وتحدث ديديموس عن دوام بتوليتها قبل وبعد ميلاد السيد المسيح ويلقبها بـ "الدائمة البتولية Ἀειπαρθένοσ" وهو تعبير إستخدمه القديس أثناسيوس الرسولى . (١)

✝ ✝ ✝

٧) منهجه اللاهوتى

تأتى أهمية دراسة أفكار ديديموس ومنهجه اللاهوتى ، كعلامة على طريق تجديد المدرسة اللاهوتية ونمو المعرفة اللاهوتية فى الاسكندرية فى عهد البابا أثناسيوس الرسولى ، إذ أن ديديموس وضع علمه اللاهوتى المؤسس على حياة تقوية نسكية مستنيرة بمعرفة الله فى خدمة قضية الخلاص والإيمان ، متتلمذاً على منهج البابا اثناسيوس ، وتأثر بفكره واسلوبه ، لذلك لم يكن اللاهوت بالنسبة له منهج دراسة خارجية بل هو رؤية شخصية داخلية ، ولا يُعرف إلا بالشركة العميقة .

ويشبه عمل الرب فى التعليم بضوء المصباح ، لذلك يعبر عن المعرفة اللاهوتية بعبارات الإشراق والنور ، فتكلم عن الأبرار اللاهوتيين وحالتهم النورانية ، وعن الإنسان الداخلى أن وجهه نورانى ، وعن اللاهوت الارثوذكسى انه إيمان متألق ، وعن تعليم الثالوث النورانى وعن محبة الله النورانية ، وعن الأبرار الذين يضيئون كالشمس وعن أورشليم السمائية المتألقة التى ليس فيها ظل .

«لا ينال أحد غير مولود ثانية بروح الله القدوس وغير مختوم بختم تقديسه ، أى عطايا سماوية ، ولو كانت حياته كاملة بلا خطية فى كل شىء آخر» . (٥)

والإستثناء الوحيد لذلك هو معمودية الدم التى هى أيضاً عمل الروح القدس :

«هؤلاء الذين نالوا إكليل الإستشهاد قبل المعمودية ، إذ قد إغتسلوا فى دمائهم ، فإنهم يحيون بروح الله القدوس» . (٦)

ويلخص ديديموس آثار المعمودية فى النفس البشرية بقوله :

«بتجديدنا فى المعمودية نتمتع بشركة وعشرة مع الله على قدر ما تسمح قدرات طبيعتنا ، كما قال البعض : على قدر ما يستطيع الإنسان المائت أن يشابه الله» . (٧)

وجاء فى كتاب دانيلو *J. Denielou** فكر القديس ديديموس عن المعمودية :

* *The Bible and The Liturgy.*

* قام القديس ديديموس السكندرى بوضع وتطوير قائمة برموز المعمودية التى وردت فى العهد القديم (٨) ، فرأى أن الثالوث غير المنقسم ولا منطوق به منذ الأزل ، أوجد الماء من العدم ، وأعد للإنسان الشفاء المزمع أن يتم فى المياه ، ففى اللحظة التى إعتمد فيها يسوع نزل الروح القدس على أمواج الأردن وإستقر عليها . (٩)

* ويرى القديس ديديموس ان عبور البحر الأحمر فى العهد القديم يرمز للمعمودية ، بإعتبار انه خلص الإسرائليين من الهلاك ، وكل تاريخ الخروج كان رمزاً للخلاص الذى يتم فى المعمودية ، ويرى أن مصر ترمز للعالم الذى فيه شقاءنا بالحياة الشريرة التى نعيشها ، والشعب هم الذين يستنيرون (يعتمدون) ، والماء الذى هو واسطة الخلاص للشعب يمثل المعمودية ، وفرعون وجنوده رمز للشيطان وأعوانه . (١٠)

* ويعلق القديس على إعلان إليشع النبى عن غنى مياه المعمودية غير الموصوف ويعتبر أنه سيمتد الى كل الذين يرغبون فى قبول الإيمان . (١١)

* تكلم القديس ديديموس عن المعمودية كعلامة دخول فى الملكية الإلهية بإعتبار أن الروح القدس يسمنا بعلامته الخلاصية لنعود الى شبهنا الأول ، لأن القطيع الذى لا يُميز بعلامة يكون غنيمة سهلة للذئاب ، فلا يكون له عون الختم ولا يكون معروفاً من الراعى الصالح ...

☦ ☦ ☦

٦) الماريولوجى (والدة الإله)

يدعو ديديموس القديسة مريم "والدة الإله Θεοτόκοσ" وهو تعبير سكندرى مفضل لديه ، وتحدث ديديموس عن دوام بتوليتها قبل وبعد ميلاد السيد المسيح ويلقبها بـ "الدائمة البتولية Ἀειπαρθένοσ" وهو تعبير إستخدمه القديس أثناسيوس الرسولى . (١)

☦ ☦ ☦

٧) منهجه اللاهوتى

تأتى أهمية دراسة أفكار ديديموس ومنهجه اللاهوتى ، كعلامة على طريق تجديد المدرسة اللاهوتية ونمو المعرفة اللاهوتية فى الاسكندرية فى عهد البابا أثناسيوس الرسولى ، إذ أن ديديموس وضع علمه اللاهوتى المؤسس على حياة تقوية نسكية مستنيرة بمعرفة الله فى خدمة قضية الخلاص والإيمان ، متتلمذاً على منهج البابا اثناسيوس ، وتأثر بفكره واسلوبه ، لذلك لم يكن اللاهوت بالنسبة له منهج دراسة خارجية بل هو رؤية شخصية داخلية ، ولا يُعرف إلا بالشركة العميقة .

ويشبه عمل الرب فى التعليم بضوء المصباح ، لذلك يعبر عن المعرفة اللاهوتية بعبارات الإشراق والنور ، فتكلم عن الأبرار اللاهوتيين وحالتهم النورانية ، وعن الإنسان الداخلى أن وجهه نورانى ، وعن اللاهوت الارثوذكسى انه إيمان متألق ، وعن تعليم الثالوث النورانى وعن محبة الله النورانية ، وعن الأبرار الذين يضيئون كالشمس وعن أورشليم السمائية المتألقة التى ليس فيها ظل .

كذلك أيضاً وصف المعرفة اللاهوتية بأنها طهارة ، وهذا ما أكد عليه أوريجانوس من قبل ، ويصف الطهارة فى تفسيره للمزامير قائلاً :

«يحتاج الإنسان الى أن يكون طاهر القلب ليقدر أن يمجد الله بالترانيم واللاهوتيات ، فمعرفة الله توجد فقط حيث الشبع والسلام» . [(١)]

فاللاهوت عند ديديموس ليس متمركزاً حول الانسان *Anthropocentric* وليس محصلة للقياسات المنطقية العقلانية البشرية ، بل هو متمركز حول الله *God-centred* لأنه قائم فى سر الشركة ، شركة الإلهى والإنسانى فى يسوع المسيح ، وهو إختبار شخصى داخلى عميق ، وحدث التجسد الإلهى هو مركز وبداية المعرفة اللاهوتية ، إذ أنه :

«من المخلص الذى بلا خطية مشتهى قلوبنا ننال هبة النطق بالإلهيات» .

ويتبع ديديموس البابا اثناسيوس فى إعتبار كُتاب العهدين لاهوتيين ، فاللوغوس المتجسد سلم الإستعلان اللاهوتى الى

تلاميذه المباركين ، ويقول ديديموس :

«لقد إستلم يوحنا عطية اللاهوت من المخلص الذى بلا خطية ، الذى هو إشتياقنا ، الذى ملأت رحمته الأرض ، معلماً نوع الإيمان الذى ينبغى أن نؤمن به معطياً عقيدة عامة للجميع :

"فى البدء كان الكلمة"

أى انه بلا بدء وغير مخلوق» . [(٢)]

وتحدث ديديموس كثيراً عن الفرح الذى يرتبط عنده بوفرة الخيرات الروحية ، وكان هذا تعبيراً عن كنوز السلام والفرح التى فى نفس ديديموس ، ونجد صدى هذا الفرح فى تفسيره فهو التهليل الروحانى مع كل ما يقترن به فى الكتاب المقدس مثل التراتيل والمدائح والأعياد .

وإقترنت المعرفة اللاهوتية عند القديس ديديموس بالفرح والنور والتسبيح ، الذى إعتبره القديس كنز الروح ، لذلك يقول فى تفسيره للمزمور ٩١ :

«حين تسبح الله فأنت تنطق بالإلهيات أى تتأمل الأمور العجيبة التى صنعها الله فيك لأنه أقامك وقواك حتى تنجو من

الموت وتحيا لمجده وتعلن أعماله» . (٣)

ويرى القديس ديديموس الضرير أن اللاهوت الخاص بالخليقة يعتمد على اللاهوت الخاص بالخلاص *Soteriology* لأن غاية الوحى الإلهى من الحديث عن الخلق هو تصحيح الأفكار الخاطئة التى تسربت الى إسرائيل .

يقول القديس ديديموس عن الله الخالق :

«يفكر البعض أن "البدء" هو زمن ، ولكن من يتعمق فى كلمة "البدء" يجد أنها لا تحمل معنى واحدا بل أكثر من معنى ، فأحياناً تعنى العلة ، فيكون المعنى هنا أن السموات والأرض متواجدة فى العلة ... بالحقيقة كل شيء صنعه الكلمة ، ففى المسيح يسوع خُلق كل ما على الأرض وما فى السماء ، الأمور المنظورة وغير المظورة» . (٤)

وعن سقوط آدم يعتبر القديس ديديموس أن إبليس عمل خلال الحية التى أغوت المرأة ، هذه التى بدورها أخذت رجلها معها ، وهذا إشارة الى أن عدونا إبليس فى حربه يبدأ خلال الشهوة

كحية تتسلل إلينا ، لكى تنخدع الحواس التى تمثل المرأة ، والحواس بدورها يكون لها فاعليتها فى العقل (الرجل) ، فيفقد العقل إتزانه وحكمته وينحرف الى الشر ، إذ أن الإنسان يستجلب لنفسه أعذاراً عن خطاياه . (٥)

ويرى القديس أن آدم طلب المعرفة خلال الشر فإختبأ من وجه الرب بإبتعاده عن معرفة الله النقية ، ويعتبر القديس ديديموس ان عرى آدم هو فقدانه للفضيلة التى تستره ، لأن الفضيلة ملبس إلهى ، والشهوة تخفى الإدراك للحقيقة وتنزع المعرفة. (٦)

ويعتبر القديس ديديموس أن الأرض لا تعطى ثمراً وتصير قفراً بسبب خطايانا ، لأنها تثمر للذين يحتفظون بنقاوتهم وبفهمهم بغير فساد ، وهذا الثمر يتناقص بأمر الرب حتى تتغير عن حالنا ، فهذه هى رؤية القديس للتأديبات الإلهية . (٧)

✝ ✝ ✝

٨) الفكر الروحى عند القديس ديديموس

وفى مقارنة بين عمل هابيل وقايين ، يرى القديس ديديموس أن هابيل ، كراعى غنم ، هو مدبر لحواس جسده ، أما قايين فكان عاملاً فى الأرض وليس كنوح فلاحاً {تك ٩ : ٢٠} ، مميزاً بين العامل فى الأرض والفلاح ، فالفلاح هو الذى يدبر العمل الزراعى ويعرف متى يحرث ومتى يبذر ومتى يحصد بحكمة وتدبير حسن ، أما العامل فى الأرض فيعمل بلا حكمة ولا تدبير .

ويركز القديس ديديموس على التدبير الروحى قائلاً :

«لم يقل الكتاب عن قايين أنه فلاح بل عامل فى الأرض {تك ٩ : ٢٠} ... كان هابيل راعياً للغنم أى مدبراً للحواس التى يقودها ، هذا هو الراعى الحقيقى الذى يضبط شهوته ، ويحمل فهماً كقائد ومدبر ، أما قايين فكان يدور فى الأرض والأرضيات لا كفلاح بل كعامل فى الأرض ، كصديق للجسد يسلك بلا تعقل ولا تدبير» . (١)

ويرى القديس ديديموس بعين الناسك أن الرجوع الى الله ليس مجرد تغيير المكان ، فيقول : «يجب ألا يُفهم أن الافتراق والإقتراب الى الله يتحقق فى مكان معين ، إنما خلال موقف الروح وإستعدادها» .

تحدث العلامة اللاهوتى ديديموس عن الروح العاقلة التى تحمل طاقات تحركها فى نشاط روحى مستمر لكى تعمل من أجل الخير وهى هادئة ومستريحة فى سلام داخلى مبعثة مخافة الله ، إذ أن كل مؤمن هو بيت مبنى ليكون هيكلاً لله وموضع سكنى لروحه .

أكد القديس ديديموس على ضرورة الأعمال والجهاد الروحى فيقول «لتكن أعمالنا إعلاناً عن التعاليم الروحية التى نقدمها ، وبهذا يكون الإنسان "عاملاً لا يخزى" {٢تى ٢ : ١٥} ، وبهذا الفكر كتب الرسول لتلميذه أن يحفظ النقاوة والوقار والإخلاص وكلاماً غير ملوم {تى ٢ : ٨} ، وما هذا الكلام الصحيح غير الملوم إلا ممارسة ما نوصى به الغير» .

وأيضاً يقول عن الأعمال الروحية : «يوصى الرب ضابط الكل أن تكون الأيدى مكرسة له قوية ، وذلك بترجمة التعاليم الروحية الى عمل حقيقى ، فيرتبط العمل بالكلام ، فلا يكون السامعون للناموس مجرد سامعين وإنما يُحولون ما يسمعونه الى ثمرة بأعمالهم» ، لأن الأعمال الفاضلة والأفكار المستقيمة تعطى أصحابها تطويباً ، وتصل بهم الى قمة الكمال المؤسس على الفضيلة المتحرر من كل خوف .

ويقول أيضاً : «يليق بنا أن نسمع كلام يسوع ونمارسه كما صرح هو نفسه "كل من يسمع أقوالى هذه ويعمل بها أشبه برجل عاقل" {مت ٧ : ٢٤} » ويؤكد على التحرر بواسطة الكلمة والحكمة والإرتفاع فوق الإنفعالات الغاضبة والشرور .

يحث العلامة ديديموس الناسك على أهمية الصوم كممارسة روحية فيقول : «يلزمنا أن نربط البطن برباطات المطانيات مع الدموع ، لكن كم هو مدمر للإنسان أن يكون صومه كالرافضين التمتع بخبز الحياة {يو ٦ : ٣٥} » أى التمتع بجسد يسوع المسيح الخبز الحقيقى النازل من السماء .

كما يحث على الصوم الجيد ومضاعفة الأعمال الصالحة وإضافة المساكين فى البيوت ، وكسوة العريانين وكل أعمال الرحمة والمحبة ، حينئذ ينفجر مثل الصبح نورك وتنبت صحتك سريعاً {أش ٥٨ :٧} .





المصادر والمراجع

ديديموس الضرير

1) Hist. Lausiac. 4

٢) الشماس (القس فيما بعد) منسى يوحنا : تاريخ الكنيسة القبطية ـ الطبعة الثالثة سنة ١٩٨٢ ص ٢٠٥ .

3) Rufinus, Hist. eccl. 2,7.

4) Epist. 50, 1; 84, 3; Comm. in Osee. Proph., prol., comm. in Epist., ad., Ephes., prol.

5) Liber de Spir., Sancto, Praef. ad Paulin.

6) Rufinus, Apol. in Hier. 425

7) Sozom. III. 15.

٨)الشماس منسى يوحنا : تاريخ الكنيسة القبطية ص ٢٠٥ .

9) Isidore of Pelusium, Epist. I, 331.

10) Libanius, Epist, 321.

11) Hist. lausiac. 4.

١٢) تاريخ الكنيسة القبطية ص ٢٠٥ .

13) Rosweyed; Vit. Patr., 944, 539.

14) Jerome, Epist. 68, Socrate IV; 29.

تاريخ الكنيسة القبطية ص ٢٠٤ .

15) De Spir. Sancto.

16) Hist. Lausiac. 4.

١٧) انطون فهمى : اللاهوت فى فكر الآباء ـ سلسلة الاخثوس ΙΧΘΥΣ . الطبعة الاولى سنة ١٩٩١ ـ ص ١٣٤ - ١٣٥ .

كتاباته

1) De Spir. Sancto.

2) De Vir. ill. 109.

٣) تاريخ الكنيسة القبطية ص ٢٠٤ .

4) De Trin. 3,16,21.

5) Migne, patrologia Latina (ML), 39, 1031-1086.

6) De Spir. Sancto, 21 and 5.

7) Hist. Eccl. 4, 25.

8) Jerome, De Vir. ill. 109.

9) Migne, Patrologia Graeca (MG), 96, 248, 524.

10) Int. div. litt. 5.

11) Jerome, De vir. ill. 109.; Prol. comm. in Js. Proph.

12) De vir. ill. 109, comm. in evang. Matth. Prol.

13) MG.,39, 1645-54.

14) MG., 39, 1653-78.

15) Catenae Graecorum Patrum in Novum Testamentum , Oxford , 1844 , t. III , 21.9.0.187-413.

16) Epist. 112, 4; comm. in Epist. ad Gal., Prol.

17) Jerome, adv. Rufin., 1,16, 21; comm. in Epist ad Ephes., prol.

١٨) مجلة الكرازة عدد ١٩٨٨/٢/١٦. السنة السادسة عشر .

لاهوته

١) الثالوث

1) De Spir, Sancto 17.

2) De Trin. 2, 6,4.

3) On Zacchariah, 5, 22- 24, 185, 15-19.

4) De Trin., 2,8,4.

5) Ibid., 2,5,1.

6) De Spir. Sancto 17.

7) Ibid. 6.

8) Ibid. 16.

٢) الخريستولوجى

1) De Trin., 3,2.

2) Liebaert, La Doctrine Christologique de Saint

Cyrille d'Alexandrie a'vant la querelle nestorienne, Lille, 1951.p.136.

3) In Psalm 15, MG., 39, 1232 C.

4) In Psalm 1284 C; 1466 C.

5) In Psalm. 1233 A B C.

6) De Trin. 3,6; 3, 21; 3;13.

7) De Trin. 3, 6; De Spir. Sancto. 52.

٣) الروح القدس

1) De Spir. Sancto.

2) De Trin. 2,23.

3) De Trin. 2,10.

4) De Spir. Sancto.

5) Ibid.

6) De Trin 1,31.

7) Ibid. 2,5.

8) Ibid. 1,18;2,6;3,1.

9) Ibid, 1,27; 1,19.

10)De Spir. Sancto.

11) Ibid.

12) De Spir. Sancto, 28.

13) Ibid. 9.
14) Ibid. 4.
15) De Trin, 2,1.

٤) الاكسيولوجى

1) In Psalm. 23, 4.
2) De Trin. 2,13.
3) De Trin, 2,6,23; In Psalm. 1369 A B, 1372 A, 1464 C.
4) In Prov.1624 C.
5) In Psalm. 1281 C.
٦) انطون فهمى : الكنيسة فى فكر الآباء ـ سلسلة الاخثوس IXΘYΣ - الطبعة الاولى سنة ١٩٩٠ ص ١٠٦ .
٧) المرجع السابق ص ١٠٦ .
٨) المرجع السابق ص ١٠٧ .
٩) المرجع السابق ص ١٠٧ .
10) In Gen. 106.

٥) المعمودية

1) De Trin. 2,12.
2) Contra Man. 8.
3) De Trin.2,12.

4) Ibid.2,12.
5) Ibid.
6) Ibid.
7) Ibid.
8) MG.39 : 693.
9) MG,39 :692.
10) De Trin., sitate 2 : 14., MG. 39 : 697 A.
11) MG. 39 : 700 D.

٦) الماريولوجى

1) Contra Arians, 2,70.

٧) منهجه اللاهوتى

1) MG. 39, 389, cf. Isaiah 1 : 14 ff.
2) MG. 39, 825 A.
3) MG. 39, 1564 C D.
4) In Gen. hom 1.
5) In Gen. 85.
6) In Gen. 95.
7) In Gen. 129.

٨) فكره الروحى

1) In Gen 119, 120.

الكتـــــاب : القديس ديديموس الضرير .
ترجمة وإعداد : أنطون فهمى چورچ .
النــاشــــر : كنيسة مارمرقس والبابا بطرس ـ الاسكندرية .
جمع تصويرى : كـويـن سنتـر ـ الأزاريطة ـ الاسكندرية .
المطـبـعــة : الأنبا رويس (الاوفست) ـ العباسية ـ القاهرة .
رقـم الايـداع : ١٩٩٢/٤٦٢٥م .
I.S.B.N. 977 - 00 - 3410 - X .

الفهرس